

البنوية التكوينية الغولدمانية (المنهج والاشكالية)

Lucien Goldman Genetic structuralism; problematic approach and mythology

Dr. Abdullah Hosseini

أ.م.د. عبدالله حسيني^(١)

ملخص البحث

تهدف هذه المقالة إلى دراسة المنهج النقدي المعاصر وهو البنوية التكوينية الغولدمانية والسؤال عن مفهومها وقوانينها عند التكوينيين وتعريف لوسيان غولدمان بصفة رائد رئيسي للبنوية التكوينية وخطوات المنهج البنوي في النقد الأدبي من قراءة البنية الداخلية للنص أو مضمونه والبنية الثقافية والاجتماعية والتاريخية للنص وأهمية الكاتب في هذا المنهج النقدي الأدبي، وخلفية الدراسات البنوية التكوينية في العالم العربي والفروق الموجودة بين البنوية التكوينية ومختلف مناهج البنوية ونقد البنوية الغولدمانية سلبيا وإيجابيا. ويعتمد هذا البحث على منهج وصفي تحليلي للوصول إلى نتائج مفيدة. واستنتجنا أن البنوية التكوينية الغولدمانية تعتمد على النقد الواقعي لفكر الأديب وثقافته والمجتمع الذي يتمثل في أعماله الأدبية وأدبه عموما ولم ينكر غولدمان أهمية الكاتب في تفسير النص الأدبي ولكنه لا يجعله في المرتبة الأولى من التفسير وتحليل النصوص الأدبية.

Abstract

This article aims to examine the contemporary criticism approach that means it is a Lucien Goldman Genetic structuralism question about the concept and its laws and definition of Lucien Goldman in leading a major Lucien Goldman Genetic structuralism and steps approach the structural in

^١ - جامعة الخوارزمي / كلية الاداب والعلوم الانسانية.

literary criticism to read the internal structure of the text means and structure of cultural, social and historical text and the importance of the writer in this monetary approach literary, and the background of the structural studies Goldman in the Arab world and the differences that exist between the Lucien Goldman Genetic structuralism and various structural approaches and Lucien Goldman Genetic structuralism negative and positive. And it supports this research on the descriptive analytical approach to get useful results. And we concluded that the Lucien Goldman Genetic structuralism depend on the real criticism of the Think writer, culture and society, which is in its literary and literature generally did not Lucien Goldman writer importance in the interpretation of the literary text but does not make it in the first rank of interpretation and analysis of literary texts.

المقدمة:

ظهر المنهج البنيوي كرد فعل ضد المناهج النقدية الاخرى التي اهتمت بالعلاقات الخارجية للادب اكثر مما اهتمت بالادب نفسه ويرجع الفضل في ظهور هذا المنهج الى التطورات الكبرى التي تحققت في مجال اللسانيات ذلك العلم الذي اهتم بدراسة اللغة في مختلف مكوناتها ومستوياتها الصوتية والمعجمية والتركيبية والدلالية، ونظرا لجدّة هذا المنهج وفعاليته في التحليل انجذب اليه كثير من النقاد العرب وطبقوه في دراساتهم للنصوص الادبية مثل محمد مفتاح وعبد الفتاح كيليطو وخالدة سعيد وعبد الله غاميدي وغيرهم. في الواقع البنيوية التكوينية تسعى إلى إعادة الاعتبار للعمل الأدبي والفكري في خصوصيته بدون أن تفصله عن علائقه بالمجتمع والتاريخ.

يحاول مذهب غولدمان "البنيوية التكوينية" البحث عن العلاقات الرابطة بين الأثر الأدبي وسياقه الاجتماعي - الاقتصادي، الذي سبق تكوينه، ويعتبر تلك العلاقات اندماجا بين سلسلة من الجُمُل أو الكُلِّيات النسبية، حيث الأثر الأدبي مُتَشَكِّلٌ من جُمُل أو كُلِّياتٍ يُمكن فهم أجزائها انطلاقاً من الأجزاء الأخرى، ثم تُفهم على أحسن وجه انطلاقاً من بنية المجموعة كلها، من بنية النصّ. ولا يعتبر غولدمان الأثر الأدبي انعكاساً للوعي الجماعي، رافضاً كلمة "الانعكاس"، مُفضلاً عليها تعبير "الرابطه الوظيفية" التي تُبرز تساوقاً، أو ترادفاً بين الآثار الأدبية وبين توجهات الوعي الجماعي للفتات الاجتماعية.

البنيوية التكوينية (Genetic Structuralism) للوسيان غولدمان (Lucien Goldman)؛ هو المنهج الذي يتناول النصوص الأدبية بوصفها بنية إبداعية تولدت عن بنية اجتماعية؛ ومن الضروري أن نؤكد في البداية أن «البنىات المجتمعية، متعددة في منظور غولدمان، فهناك البنىات الاقتصادية و البنىات السياسية

و البنيات الاجتماعية والبنيات الثقافية».^(٢) و الفرضية التي يدعوه "غولدمان" البنوية التكوينية هي أن «السلوك البشري سلسلة من الأجوبة أو الردود ذات الدلالة على مواقف تواجهها الذات، و تحاول أن تقيم نوعاً من التوازن بينها و بين العالم المحيط بها. ولكن تلك المواقف تتغير بتغير الظروف المحيطة بها مما يدعوه إلى إقامة توازنات جديدة تستجيب للمواقف الطارئة».^(٣)

ولقد كان غولدمان معجباً بنظرية الذكاء عند جان بياجيه وتأثر "بنظريته التوليدية في المعرفة"؛ فإن غولدمان يستلهم بياجيه على المستوى اليبستمولوجي التكويني مؤكداً أن السلوك النفسي المحرك لكل فرد، يكمن في علاقته مع الوسط المحتضن، إذن « فنظرية الذكاء عند بياجيه تنتهي إلى إيلاء الاعتبار لخاصية التفاعل بين الفرد و محيطه وهو نفس ما يذهب إليه غولدمان حين يؤكد على الخاصية الدالة لسلوك الذات الجماعية و علاقة هذا السلوك بالوسط الاجتماعي»^(٤). يقول صلاح فضل في هذا الموضوع «هناك مدرسة بنائية تطلق على نفسها "التوليدية" و أكبر ممثليها هما العالم النفسي "جان بياجيه" و الناقد الكبير "لوسيان جولدمان" ويقدم الأول تصوراً نظرياً متكاملًا عن البنية بينما يتولى الآخر تطبيق هذا التصور في مجال الدراسة الاجتماعية للأدب».^(٥) و فيما بعد نبين الفرق بين هذا المصطلح و البنوية التكوينية.

ومن أهداف هذا البحث دراسة مفهوم وعناصر المنهج النقدي البنوي التكويني كإحدى مناهج نقدية معاصرة تحتاج إلى فك عناصره ومفاهيمه وخطوات تطبيق النقد على النص الأدبي.

فهذا الموضوع دفعنا إلى البحث في هذا المجال، وقمنا بدراسة وصفية وتحليلية لمنهج وإشكالية النقد البنوي التكويني. أما أسئلة البحث فيمكن ذكرها كالاتي:

١. ماهي أهم مراحل النقد البنوي التكويني الغولدماني؟
٢. ما هي نظرة النقد البنوي التكويني إلى البنية الفوقية والبنية التحتية؟
٣. ما هو مفهوم البنية عند النقاد التوليديين؟
٤. ما هي الفروق الأساسية الموجودة بين الاتجاهات البنوية الثلاث؟

أما المنهج فقد أسلمنا تحقيق هدف الدراسة إلى اتباع المنهج الوصفي التحليلي لمناسبتة لنوع البحث واستعنا بالاستقراء والاستنتاج لطبيعة المادة العلمية منها التزاوج بين منهج التحليل المضموني والمنهج التحليلي. نقوم في هذا المنهج على وصف المنهج البنوي التكويني من المناهج الأدبية للوصول إلى عناصر هذا المنهج والعوامل التي تتحكم فيها، واستخلاص النتائج لتعميمها. والمنهج الوصفي يحاول الإجابة على السؤال الأساسي، ما هي طبيعة الظاهرة؟ موضع البحث ويشمل ذلك تحليل بنيتها وبيان العلاقات بين مكوناتها، ومعنى ذلك أن الوصف يهتم أساساً بالوحدات أو الشروط أو العلاقات أو الفئات أو الأنساق

٢- يُنظر: يوسف الأنطاكي: سوسيولوجيا الأدب الآليات و الخلفية الإيبستمولوجية، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٩.

٣- محمد نديم خشفة: تاصيل النص المنهج البنوي لدى لوسيان غولدمان، مركز الانماء الحضاري، حلب، ١٩٩٧، ص ٥٥.

٤- يُنظر: لوسيان غولدمان، العلوم الانسانية والفلسفة، ترجمة: د. يوسف الأنطاكي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٦.

٥- صلاح فضل: نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٨، ص ١٢٨.

التي توجد بالفعل ، وقد يشمل ذلك الآراء حولها والاتجاهات إزاءها، وكذلك العمليات التي تتضمنها والآثار التي تحدثها والمتجهات التي تنزع إليها، ومعنى ذلك إن السؤال الوصفي قد يمتد إلى تناول كيف تعمل الظاهرة؟ وبالطبع قد يمتد المنهج الوصفي بهذا المعنى إلى الماضي المنهج التاريخي أو الى الحاضر.

وقليلة تلك الأفلام التي تناولت تعريف وتوضيح المنهج البنيوي التكويني ونقده سلبيا وإيجابيا، والتناول والتعريف المنهج النقدي الجديد بشكل شامل في مقالة أو كتاب خاص، إلا أن هذه الدراسات في معظمها موجزة، ومتفرقة معلوماتها وأصحابها كانوا يركزون على دراسة سيرة شخصية لغولدمان، وعلاقاته الاجتماعية، ومسيرة حياته العلمية، وإما أنهم يركزون على بعض جوانب نظريته النقدية الاجتماعية وعلى حسب محاولاتنا للبحث عن المقالات والبحوث الدراسية المعنونة بعنوان مقالتنا ما وجدنا بحثا او مقالة في هذا المجال. ولم تكن جميع الابحاث التي وجدنا عن البنيوية التكوينية جامعا وشاملا وما قارنت بين أنواع المناهج النقد البنيوي. و بعض ما وجدنا عن البنيوية التكوينية من الكتب والمقالات هي:

١. كتاب "البنيوية التكوينية والنقد الأدبي" للوسيان غولدمان وآخرون الذي يشتمل على مجموعة مقالات متفرقة للنقاد الغربيين عن بعض مناهج النقد التكويني مثل منهج لوسيان غولدمان وجورج لوكاش بصورة مختصرة وغير منسجمة ولم يتناول النقد التكويني الغولدماني وخطواته وعناصره وأهمية الكاتب فيه و مقارنته بالمناهج الاخرى البنيوية وخلفيته عند النقاد العرب المعاصرين.
 ٢. كتاب "في البنيوية التكوينية دراسة في منهج لوسيان غولدمان" لجمال شحيد كتابه في (البنيوية التركيبية: دراسة في منهج لوسيان غولدمان) أول تنظير عربي في (المنهج البنيوي التكويني)، فقد نشره عام ١٩٨٢ وجعله في قسمين: عرض في القسم الأول المنهج البنيوي التكويني ومفاهيمه، وعرض في القسم الثاني الدراسات التطبيقية لهذا المنهج من قبل النقاد الغربيين، ثم أرفده بنصوص مختارة من غولدمان. ولكن هذا الكتاب لم يشتمل على دراسة خلفية النقد التكويني في العالم العربي ونقد المنهج النقدي التكويني سلبيا وإيجابيا ولم يهتم مؤلفه بأهمية الكاتب ودوره في هذا النقد ولم يقارن في فصوله المنهج البنيوي التكويني الغولدماني بالمناهج النقدية البنيوية الثلاث.
 ٣. مقالة "رواية الحي اللاتيني على ضوء النظرية البنيوية الغولدمانية لدكتور حامد صدقي، أستاذ جامعة الخوارزمي بطهران مشتركا مع دكتور عبدالله حسيني وأنصار سليمي نژاد التي نشرت في مجلة دراسات الأدب المعاصر^(٦) التي قام فيها الباحثون بدراسة احدى من روايات سهيل إدريس على أساس منهج لوسيان غولدمان بصورة تطبيقية.
- ومن الفرضيات التي تدعوها هذه المقالة هي:

٦- مجلة دراسات الأدب المعاصر، جامعة حرة إسلامية بيجرفت، إيران، السنة الرابعة، خريف ١٣٩١، العدد الخامس عشر، ص: ٦٥-٩٥.

١. يبدو أن النقد البنوي التكويني يعتمد على مراحل مختلفة منسجمة لدراسة النص الأدبي من مرحلة التحليل الاجتماعي والتاريخي والثقافي وأخيرا تحليل النص الأدبي.
٢. يبدو أن غولدمان في منهجه النقدي يحاول أن يهتم بالبنية الفوقية (الشكل) وعناصر ظاهرية للنص الأدبي والبنية الفوقية (المضمون) للنص الأدبي على السواء.
٣. يبدو أن البنية من وجهة نظر البنويين التوليديين هي الكل البنائي الذي يشتمل على قوانين وأجزاء تركيبية ظاهرية وباطنية منسجة وأبنية صغيرة لديه قابلية للتحويلات حسب المؤثرات الخارجية.
٤. يبدو أن الفرق الرئيسي بين البنوية الشكلية والوظيفية والبنوية التكوينية الغولدمانية أن النقد التكويني يتخلص من مأزق النقد البنوي الشكلي من الاهتمام الخاص للنص ويخترق الدراسة النصية إلى ماورائها من مؤثرات اجتماعية وثقافية وتاريخية التي تسمى ببنية تحتية للنص. ولا يكون النقد البنوي التكويني مقتصرًا على البنية الاجتماعية كالبنيوية الوظيفية بل يهتم بالنص الأدبي وشكله وتحليل عناصره الاجتماعية والتاريخية مترامنا معه.

ويتميز مشروع غولدمان عن المناهج الأخرى بكونه اتخذ العمل الإبداعي مجالاً أساسياً لبلورة منهج ينطلق من العمل ذاته ومستعملاً منهجية سوسيولوجية وفلسفية لإضاءة البنيات الدالة وتحديد مستويات إنتاج المعنى عبر أنماط من الرؤية للعالم. لقد كان غولدمان يعتبر هذه القراءة للأعمال الأدبية والفكرية أساسية وسابقة على القرارات الأخرى، إلا أن ما أنجزه من تحليلات وتطبيقات، على أهميته لا يزكي المشروع في طموحاته البعيدة، وإنما يجعله مشروعاً مفتوحاً قابلاً للنقد والإجابات.

إن الفرضية الأساسية للبنوية التكوينية الغولدمانية «أن كل سلوك إنساني هو محاولة لتقديم جواب دال على وضعية مطروحة، ومحاولة من خلال ذلك لخلق توازن بين الذات الفاعلة والموضوع الذي موروس عليه الفعل»^(٧)، هذه الفرضية مقبولة بالبداية، شريطة ألا تكون فرضية مطلقة. وتتخذ النظرية التكوينية - التي هي فرنسية في الأساس - إجراءاتها النقدية والتحليلية والتفسيرية في الفترة الزمنية التي تبدأ من لحظة تولد العمل الأدبي و تمتد لتشمل مراحل تكوينه. وقد تطوّر النقد التكويني إلى حد بعيد منذ تبلوره في مناهج مقننة منذ خمسينات القرن العشرين على أيدي كل من ج. روبير في كتابه "مخطوطات التأملات" ١٩٥٦، وج. لوفيان: "ملاحم الإبداع الأدبي عند أناتول فرانس" ١٩٥٢، وك. جوتو- ميرش: "تكوّن رواية مدام".

المبحث الأول: الإطار المعرفي للبنوية التكوينية:

أولاً: مفهوم البنية:

لمفهوم البنية معانٍ مختلفة جداً في علم الاجتماع، والأدب. ومن الصعب، و ربما من المستحيل، وضع لائحة كاملة لتفسيراتها. سنكتفي بإقامة بعض نقاط الاستدلال.

٧- لوسيان غولدمان وآخرون: البنوية التكوينية والنقد الأدبي، ترجمة: محمد سيلا، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ١٩٨٦،

لنبدأ هنا بهذا التعريف الشامل الذي يقدمه لنا عالم النفس السويسري المشهور واحد من رواد البنيوية، جان بياجيه حيث يقول: « إنَّ البنية لهي نسق من التحولات، له قوانينه الخاصة باعتباره نسقا (في مقابل الخصائص المميزة للعناصر)، علما بأن من شأن هذا النسق أن يظل قائما و يزداد ثراء بفضل الدور الذي تقوم به تلك التحولات نفسها، دون أن يكون من شأن هذه التحولات أن تخرج عن حدود ذلك النسق، أو أن تهيئ بأية عناصر أخرى تكون خارجة عنه.^(٨)»

وقصارى القول أنه لا بد لكل بنية أذن من أن تتسم بالخصائص الثلاث الآتية: "الكلية"، و"التحولات"، و"التنظيم الذاتي". فإذا ما انتقلنا الآن إلى تعريف آخر للبنية، ألا وهو تعريف ليفي اشتراوس، وجدناه يقرر بكل بساطة أن « البنية تحمل - أولا وقبل كل شيء - طابع النسق أو النظام. فالبنية تتألف من عناصر يكون من شأن أي تحول يعرض للواحد منها، أن يحدث تحولا في باقي العناصر الأخرى^(٩)». بالنسبة لموردوك (Murdock) يدل مفهوم "البنية الاجتماعية" على « تماسك المؤسسات الاجتماعية: فليست المؤسسات تجمعاً اعتبارياً أو عرضياً، وبهذا المعنى يكون لها بنية. وموردوك يعثر على فكرة أساسية لأرضية المجتمعات القديمة وسعها مونتكيو بشكل منظم في روح الشرائع^(١٠)». لقد استعادت هذه الفكرة في شكل تحليل نسميه أحيانا البنيوية - الوظيفية. و إن أهم أغراض هذا النوع من التحليل هو بالتحديد فهم تماسك المؤسسات الاجتماعية و إظهار تبعيتها المتبادلة.

وفي حالات أخرى، نقول عن « بيان اجتماعي أنه يمثل "بنية" مجموعة معينة، و نتحدث عن "التحليل البنيوي" للمجموعات للإشارة إلى تمثيل علاقات الانجذاب و النفور بين أعضاء المجموعة تحت شكل البيان أو القياس.^(١١)»

وهكذا يمكن أن يظهر مفهوم البنية مترابطاً مع مفهوم النظام إذا اعتبرنا أن النظام هو مجمل "العناصر ذات التبعية المتبادلة".

ظهر هذا المصطلح (البنية) لدى جان موكاروفسكي (Mukarovsky) الذي عرّف الأثر الفني بأنه «بنية، أو نظام من العناصر المحققة فنياً و الموضوعة في تراتبية معقدة تجمع بينها سيادة عنصر معين على بقية العناصر^(١٢)».

هناك مفهومان للبنية الأدبية أو الفنية، الأول تقليدي يراها نتاج تخطيط مسبق فيدرس آليات تكوينها، والآخر حديث ينظر إليها كمعطى واقعي فيدرس تركيبها و عناصرها و وظائف هذه العناصر والعلاقة القائمة بينها.

٨- زكريا إبراهيم: مشكلة البنية أو أضواء على البنيوية، دار مصر للطباعة، القاهرة، ١٩٩٠، ص ٣٠.

٩- المصدر نفسه، ص ٣١.

١٠- يُنظر: ر. بوردون وف. بورتيكو: المعجم النقدي لعلم الاجتماع، تر: الدكتور سليم حداد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٦، ص ٩٩.

١١- المصدر نفسه، ص ١٠١.

١٢- لطيف زيتوني: معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة لبنان ناشرون، دار النهار للنشر، د.ت.، ص ٣٧.

وللبنية مستويات، فهناك البنى اللغوية التي تدرسها اللسانية، وهناك بنية الأثر الأدبي التي يدرسها النقد.

أما «البناء العميق» (Deep Structure) والبناء السطحي (Surface Structure) فهما مصطلحان في علم اللغة، وقد وصفها نعوم تشومسكي للدلالة على بناء تحتى أو باطني (أو قاعدي Base) للعبارة ينتج عنه عدد من العبارات المنطوقة أو المكتوبة^(١٣) والتي يعتبر بناؤها سطحيًا بمعنى أنه هو ما نلاحظه و ندركه بحواسنا.

تشتق كلمة بنية في اللغات الأوروبية من «الأصل اللاتيني "Stuere" الذي يعني البناء أو الطريقة التي يقيم بها مبنى ما، ثم امتد مفهوم الكلمة ليشمل وضع الأجزاء في مبنى ما من وجهة النظر الفنية المعمارية وبما يؤدي إليه من جمال تشكيلي، وتنص المعاجم الأوروبية على أن الفن المعماري يستخدم هذه الكلمة منذ منتصف القرن السابع عشر»^(١٤).

إن كلمة البنية في أصلها تحمل معنى المجموع، أو الكل المؤلف من عناصر متماسكة، يتوقف كل منها على ما عداها، ويتحدد من خلال علاقته بما عداها، فهي «نظام، أو نسق من المعقولية التي تحدد الوحدة المادية للشيء، فالبنية ليست هي صورة الشيء، أو هيكله، أو التصميم الكلي الذي يربط أجزائه فحسب، وإنما هي القانون الذي يفسر الشيء، ومعقوليته»^(١٥).

و يتميز الاستخدام القديم لكلمة بنية في اللغات الأوروبية بالوضوح فقد كانت تدل على الشكل الذي يشيد به مبنى ما، ولكن يستخدم أصل كلمة البنية في العربي القديم للدلالة على «مفهوم التشييد والبناء والتركيب»^(١٦)، وتجدر الإشارة إلى أن القرآن الكريم قد استخدم هذا الأصل نيفا و عشرين مرة على «صورة الفعل "بنى" أو الأسماء "بناء" و "بنيان" و "مبنى"»^(١٧) ولكن لم ترد فيه ولا في النصوص القديمة كلمة "البنية".

فمفهوم البنية مرتبط بالبناء المنجز من ناحية، و بهيئة بنائه، وطريقته من ناحية أخرى، و كينونة هذا البناء لا تنهض إلا بتحقيق الترابط والتكامل بين عناصره.

ومن المعلوم أن الترابط و التكامل بين الظواهر المؤسسة للإبداع، هما جوهر البنية، من هنا يمكن القول «أن البحث في البنية هو بحث في انتظام عناصرها في المجال الإبداعي انتظاماً دقيقاً تتأزر فيه تلك العناصر، وتتكامل، لتؤسس نظاماً تتجانس مكوناته تجانسا تاما»^(١٨) انطلاقاً من هذا الفهم لمفهوم البنية، نهضت هذه المقاربة النقدية مؤسسة منهجياً على مبدأ التدرج في الانتقال من الجزء إلى الكل.

١٣ - محمد عناني: المصطلحات الأدبية الحديثة، دراسة ومعجم إنجليزي -عربي، الشركة المصرية العالمية للنشر، ١٩٩٦، ص ٣٧.
14-. parin - vial, Jeanne, analyses structura les et ideologues structuralistes, Toulouse 1969, Trad.B.A. 1973, p 90

١٥ - زكريا إبراهيم: مشكلة البنية، مكتبة مصر، القاهرة، ب.ت، ص ٢٩.

١٦ - صلاح فضل: نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، القاهرة، ب.ت، ص ١٢٠.

١٧ - محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، القاهرة، ١٣٧٨هـ، ص ١٣٦.

١٨ - الحبيب شبيل: من البنية إلى المعنى (المقامة المضربة)، دار الآداب، بيروت، ع ١٤، ص ٣٨، ١٩٩٠، ص ٦٧.

وتتحدّد خصائص المفهوم الاصطلاحي لكلمة البنية لدى الدكتور صلاح فضل بثلاث خصائص هي: «تعدد المعنى، و التوقف على السياق، والمرونة»^(١٩).

أما تعدد المعنى فهو ما نراه ماثلاً في تعريف وتصور كل مؤلف كبير لكلمة البنية، فعلى سبيل المثال نرى البنية لدى "لوسيان غولدمان" مختلفة عنها عند الناقد الأدبي "رولان بارت" أو "جاك دريدا"، ويتوقف مفهوم البنية "على السياق بشكل واضح"، حتى أن الفكر البنائي يعدّ من هذه الناحية فكراً مركزياً؛ إذ إن محور العلاقات لا يتحدد مسبقاً وإنما يختلف موقفه باستمرار داخل النظام الذي يضمّه مع غيره من العناصر.

أما الخاصية الثالثة "المرونة"، فهي تدل على أن مصطلح البنية لا يخلو من إبهام و اختلاط؛ ويلعب السياق دوراً رئيسياً في تحديده مما يجعله مرناً بالضرورة و تعود هذه المرونة إلى نسبية مفهومه و غلبة جانب الشكل والعلاقات عليه.

لذلك يقف التحليل البنيوي عند حدود اكتشاف البنية العميقة (المضمون) في النص الأدبي، أو عند حدود اكتشاف "نظام النص". ويرى البنيويون التكوينيون أن «البنية هي البنية العميقة وهذه البنية العميقة أو هذه الشبكة من العلاقات المعقدة هي التي تجعل من العمل الأدبي عملاً أدبياً، أي هنا تكمن أدبية الأدب.. إنّ هدف التحليل البنيوي هو التعرف عليها لأنّ ذلك يعني التعرف على قوانين التعبير الأدبي. وهذا ما يجعل التحليل البنيوي متميّزاً عن سائر المناهج لأنّه الوحيد القادر على البحث عن أدبية الأدب أي عن خصائص الأثر الأدبي!!»^(٢٠)

ثانياً: البنية وقوانينها عند التوليديين (التكوينيين):

هناك مدرسة بنائية تطلق على نفسها "التوليدية" وأكبر ممثليها هما العالم النفسي «جان بياجيه» و الناقد الكبير «لوسيان غولدمان» و يقدم الأول تصوراً نظرياً متكاملاً عن البنية بينما يتولّى الآخر تطبيق هذا التصور في مجال الدراسة الاجتماعية للأدب. حيث يقدم جان بياجيه في كتابه "البنيوية" تعريفاً نظرياً عن البنية ويقول: «و تبدو البنية، مجموعة تحويلات تحتوي على قوانين كمجموعة (تقابل خصائص العناصر) تبقى أو تغتني بلعبة التحويلات نفسها دون أن تتعدى حدودها و أن تستعين بعناصر خارجية، وبكلمة موجزة، تتألف البنية من ميزات ثلاث: الجملة، والتحويلات، والضبط الذاتي»^(٢١).

ثم يطرح عنواناً باسم "البنيات و نشأة الذكاء" و يقول: «يمكن اسناد جميع أنواع الإنطلاقات إلى البنيات. فإما ان تكون قد قدمت كما هي على غرار الجواهر الأبدية، أو انبثقت، دون معرفة السبب، في مجرة هذا التاريخ ذي النزوات، الذي يسميه ميشال فوكو (Michel Foucault) بعلم الأثریات "Archaeologies"، وإما أن تكون قد أخرجت من العالم الفيزيائي حسب طريقة الجشطالت، أو أنها

١٩ - نظرية البنائية في النقد الأدبي، ص ١٢١.

٢٠ - شكري عزيز ماضي: في نظرية الأدب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ١، ٢٠٠٥، ص ١٥٨.

٢١ - جان بياجيه: البنيوية، ترجمة: عارف منيمنة وبشير أوبري، منشورات عويدات، بيروت - باريس، ط ٤، ١٩٨٥، ص ٦٣.

تتعلق بالذات بطريقة أو بأخرى. لكن هذه الطرق ليست متعذرة الإحصاء ولا يمكن لها إلا أن تتوجه، نحو إما فطرية يُذكر سبق تكوينها بالتحديد المسبق إلا في حال إرجاع هذه المصادر الوراثية للبيولوجيا مما يُثير ضرورة مشكلة تكوينها، وإما انبثاق جائز، وإما بناء»^(٢٢).

وفي المجموع لا يوجد سوى ثلاثة حلول عند جان بياجيه: إما سبق تكوين، وإما خلق جائز، وإما بناء.

أما لوسيان غولدمان فإنه «يستلهم بياجيه على المستوى الإبيستمولوجي التكويني، مؤكداً هذا الأخير أن السلوك النفسي المحرك لكل فرد، يكمن في علاقته مع الوسط المتضمن، وقد قسم جان بياجيه تأثير هذه العلاقات على سيرورتين متكاملتين: استيعاب الوسط لطرق التفكير و الفعل عند الذات، وتكيف هذه الطرق مع بنية العالم المحتضن»^(٢٣).

إذن فنظرية الذكاء عند بياجيه تنتمي إلى إيلاء الاعتبار لخاصية التفاعل بين الفرد ومحيطه، وهو نفس ما يذهب إليه غولدمان حين يؤكد على الخاصية الدالة على الذات الجماعية وعلاقة هذا السلوك بالوسط الاجتماعي.

و نصل في الأخير إلى أن البنية عند التوليديين تتضمن ثلاث خصائص هي: الشمول، والتحول، والتحكم الذاتي. ويمكن فهم «خاصية الشمول في البنية ابتداء من تعريفها نفسه، إذ يجمع الباحثون على التمييز بين البنية والعناصر المضافة التي تتكون من أشياء مستقلة، فالبنية تتكون بدورها من عناصر في حقيقة الأمر، لكنها خاضعة لقوانين تتحكم في النظام بأشمله؛ وتسمى قوانين التركيب. وإذا كانت خواص الكل البنائي تنجم عن قوانين تركيبية فإنها تصبح حينئذ أبنية طبيعية لا تكف عن كونها بنية مبنية متحولة؛ مما يؤكد قابليتها للفهم اعتماداً على هذه العملية البنائية نفسها. ومعنى هذا أن النشاط البنائي يتمثل حسب نظام التحولات.

أما الخاصية الثالثة الأساسية للبنية عند التوليديين فهي التحكم الذاتي مما يعني حفاظها على نفسها في نوع من الدائرة المغلقة، واعتماداً على ذلك فإن التحولات اللازمة للبنية لا تعود إلى أبعد من حدودها وإنما تولد عناصر تنتمي دائماً إلى البنية وتحافظ على قوانينها؛ بمعنى أننا عندما نجمع أو نطرح أرقاماً صحيحة فإن الناتج أماناً يظل دائماً أرقاماً صحيحة تؤكد قوانين "مجموعات الإضافة" الرياضية لهذه الأرقام، وبهذا الشكل فإن البنية منغلقة على نفسها»^(٢٤).

و إذا انتقلنا إلى "غولدمان" وجدنا أن مفهوم البنية عنده ينطلق من تصور "بياجيه" السابق الذي يرى أن البنية توجد عندما تتمثل في العناصر المجتمعة في كلٍّ شامل بعض الخائص المميزة، ولكنه يأخذ على

٢٢- المرجع نفسه، ص ٥١.

٢٣- لوسيان غولدمان: العلوم الإنسانية و الفلسفة، ترجمة: د. يوسف الأنطاكي، مراجعة: د. محمد برادة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٦، صص ٢٧-٢٦.

٢٤- صلاح فضل: نظرية البنائية في النقد الأدبي، صص ١٣٠-١٢٩.

أستاذة «أنه يقصر مفهوم البنية على المظهر الثابت، بينما تعتبر عمليات التوازن بدورها أبنية نشطة يتعين على الأحداث في كل مجال على حدة أن يحدد طبيعتها و يرصد حركتها»^(٢٥)

ثالثاً: لوسيان غولدمان؛ رائد البنيوية التكوينية:

اعتماداً على كتابات جورج لوكاتش وخصوصاً كتابيه: " نظرية الرواية " و "التاريخ والصراع الطبقي" التي تحتضن: "الفرد الإشكالي، التشيؤ، الوعي الممكن.." والتي تم إخصابها لاحقاً بمقولات أخرى تسمح بها "البنيوية التكوينية"، وانطلاقاً من المقولات العامة للفكر البنيوي القائلة بأن « كل تفكير في العلوم الإنسانية إنما يتم من داخل المجتمع لا من خارجه، وبأنه جزء من الحياة الفكرية لهذا المجتمع، وبذلك فهو جزء من الحياة الاجتماعية»^(٢٦)، ومن منظور ماركسي، انشغل لوسيان غولدمان (١٩١٣ - ١٩٧٠) بتأسيس نظرية خاصة في علم اجتماع الرواية، كما كان يؤكد بثقة كبيرة وهو يصوغ مقولاته النظرية حول هذا الفرع المعرفي الذي رأي أن علم اجتماع الأدب لم يقترب منه كثيراً، سواء علم الاجتماع الماركسي، أو علم الاجتماع الوضعي، ومستفيداً أيضاً من مؤلف روني جيرار: "كذب رومانسي وحقيقة روائية" الذي وجد فيه تقاطعات كثيرة مع الأفكار التي اعتمدها لوكاتش في "نظرية الرواية"، هذه الأفكار كلها هي التي شكلت المنطلق النظري لعمل لوسيان غولدمان.

لوسيان غولدمان الذي ولد في بوخارست، وانتقل عام ١٩٣٤ م إلى باريس حيث هيا رسالة دكتوراه في الاقتصاد السياسي. وقبل أن يستقر به المقام هناك، فر عام ١٩٤٠ إلى سويسرا هرباً من الاحتلال الألماني لفرنسا، وهناك حيث بقي في أحد معسكرات اللاجئين إلى سنة ١٩٤٣ توسط الفيلسوف (جان بياجيه) في تحريره وإعطائه منحة دراسية لرسالة الدكتوراه، ليقوم بتعيينه لاحقاً مساعداً له في جامعة جنيف، حيث تأثر بأعماله حول البنيوية التكوينية التي صاغها بياجيه على مبعدة من المفاهيم الماركسية، لكن غولدمان سيقوم بترحيل البنيوية التكوينية لاحقاً من مجال علم نفس الذكاء إلى مجال علم الاجتماع مطعماً إياها بالمقولات الماركسية.

وبعد تحرير فرنسا عاد غولدمان إلى باريس، حيث اشتغل كباحث في المركز الوطني للبحث العلمي، وأنجز رسالة دكتوراه في الأدب بعنوان (الإله المختفي: دراسة للرؤيا المساوية لأفكار باسكال ومسرح راسين) عام ١٩٥٦، حيث أثارت دراسته تلك ضجة كبيرة في النقد الحديث في فرنسا. ثم وضع كتابه (أبحاث جدلية) عام ١٩٥٩. وكان قد نشر كتابه (العلوم الإنسانية والفلسفية) عام ١٩٥٢. وفي عام ١٩٦٤ أصبح مديراً لقسم علم الاجتماع الأدبي بجامعة بروكسل الحرة، فأصدر كتابه (من أجل علم اجتماع للرواية) عام ١٩٦٤، ثم وضع (البنيات الذهنية والإبداع الثقافي) عام ١٩٦٧، و (الماركسية والعلوم الإنسانية) عام ١٩٧٠ وهو تاريخ وفاته حيث كان في قمة عطائه الفكري.

25- Goldman, Recherché dialectiques, paris1959, Trad.caracas, 1962, p.105 loceen

٢٦- محمد عزام: تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحديثة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٣، ص

رابعاً: مراحل المنهج البنوي التكويني في النقد الأدبي

المرحلة الأولى: البدء بقراءة ألسنية للنص، وذلك عن طريق تفكيك بنياته إلى وحداتها الصغرى الدالة، و« ذلك باكتشاف (البنية السطحية) للنص، وبيان بنيات الزمان والمكان (المدينة) فيه. ثم تركيب هذه الاجزاء للخروج منها بتصور (البنية العميقة) للنص، أو رؤية العالم كما تجسدت في الممارسة الألسنية للنص»^(٢٧).

المرحلة الثانية: إدماج هذه البنيات الجزئية للوحدات الدالة في بنية أكثر اتساعاً. وتفكيك هذه البنية الأشمل، أيضاً، للعثور على دلالتها الشاملة. « وبهذا ننتقل من (النص المائل) إلى النص الغائب، وذلك أن النص المائل ليس ذرة مغلقة على نفسها، بل هو نتاج اجتماعي تاريخي، يعبر عن طموحات فئة اجتماعية أو طبقة اجتماعية. وبذلك تصبح قراءة النص الأدبي كشفاً لبنياته المتعددة، ثم ادماجها في البنية الاجتماعية لبيئة المبدع وعصره»^(٢٨).

وهكذا تبحث البنوية التكوينية في أربع بنيات للنص هي:

١- البنية الداخلية للنص أو مضمون النص.

٢- البنية الثقافية أو (الايديولوجية).

٣- البنية الاجتماعية أو المجتمع.

٤- البنية التاريخية، وهذه البنيات متكاملة ومتفاعلة فيما بينها.

« فإذا كانت القراءة الداخلية للنص تقدم لنا خطوة نحو فهم القوانين المتحركة في البنية الداخلية، فإن هذا الفهم بحاجة إلى تفسير. وهذا ما ينبغي التماسه في البنية الثقافية. غير أن هذا التفسير يظل مجرداً، إذا لم يتحول إلى فهم، فيصبح بدوره بحاجة إلى تفسير، مما يستدعي مقارنة البنية الثالثة (الاجتماعية)»^(٢٩). وقليل ما تهتم البنوية التكوينية بالشكل و إذا تهتمت ترغب إلى اهتمامها بالبنية التحتية أكثر من البنية الفوقية أو الشكل والموسيقى والألفاظ وإلخ.

المبحث الثاني:

اولاً: الفروق بين اتجاهات البنوية الثلاثة:

راوحت البنوية في درس الادب بين اتجاهات ثلاثة: شكلانية، ووظيفية وتكوينية. و هنا نحاول أن نعبر عن فروق هذه الاتجاهات على النحو الآتي:

١: البنوية الشكلانية:

لا يمكن أن نغفل أن المدرسة الشكلية التي قد ولدت في روسيا خلال فترة المخاض التي انتهت بانفجار الثورة الاشتراكية عام ١٩١٧ وتعدّ مدرسة الشكلية الروسية الرافد الثاني من روافد البنائية الكبرى

٢٧- محمد عزام: فضاء النص الروائي، مقارنة بنوية تكوينية في أدب نبيل سليمان، ص ٤٢.

٢٨- المرجع نفسه، ص ٤١.

٢٩- المرجع نفسه، ص ٤٢.

بعد أن وضع «سوسير» حجرها الأساسي، إذا كان «خلاف بين البنيوية التوليدية (تكوينية) والتحليل النفسي يرجع إلى طبيعة الذات الفاعلة للبنية، واختزلها في التحليل النفسي إلى ذات فردية تقع في لاوعي الفرد، فإن الخلاف بين البنيوية التوليدية واتجاهات البنيوية الشكلية المعاصرة يرجع إلى أن هذه الاتجاهات الأخيرة تلغي هذه الذات، وتحل محلها نسقا مجردا متعاليا بلا "ذات" إلى درجة تصبح معها البنية نظاماً شكلياً مغلقاً على نفسه، نظاماً ينطوي على تحولات داخلية لا تخضع لأي شيء هذا النظام، ولا تتصل بأي شيء خارجه.»^(٣٠)

تقوم البنيوية الشكلانية على تفتيت وحدات النص، وتقديم وصف خطّي مجزء له، مع اهتمامها بخصائصها الذاتية المستقلة وتوقفها عند علاقاته التوزيعية والترابطية، وإيلائها جل بحثها لمادته اللغوية، ولجوتها إلى نحت قوانين تحكمها، بعيداً عن ارتباطه بأية سياقات تاريخية أو اجتماعية. كان الشكليون الروس (Russian Formalists) يعتبرون أن الأدب مجال متميز بشكله، وأنه مجال منفصل لسبب هذا الشكل عن سائر مجالات السلوك الإنساني.

(Human behavior)، ومن ثمّ كادوا ينظرون إليه باعتباره فنّاً لغوياً في المقام الأول لا باعتباره مرآة للمجتمع أو ميداناً للتصارع بين الأفكار، ومن ثمّ صبّوا اهتمامهم على الشعر لا على الشاعر، أي على الأعمال الأدبية نفسها، لا على جذورها وآثارها»^(٣١).

ولكن مادامت «البنيوية التوليدية/ التكوينية» تؤكد «الأهمية الأساسية للأبنية في فهم التاريخ فإنها لابد أن تتولى الدفاع الحار عن وجود الذات الفردية غير منفصلة عن وجود الذات المجاوزة للفرد، على أساس أن الأخيرة هي العنصر الفعال في البنية، والفاعل الذي يحدد وظيفتها. ومن هنا فإن البنيوية التوليدية، كمنهج تؤكد أن البنية ليست كيانا مغلقاً يسجن الإنسان، أو معنى، أو وظيفة، أو ذات، بل يؤكد المنهج - على العكس من ذلك - البنية باعتبارها خاصية مميزة لنشاط فاعلية خلاقة، تصنع النسق وتخلق الأنظمة، في حركتها التاريخية، أي في ممارساتها الدالة. ولذلك لا يكف جولدمان عن تذكيرنا بأن علينا أن ندرك أن لكل بنية دلالة، وأن هذه الدلالة نتاج ذات فاعلة ومحقة لوظيفة؛ فإذا حذفنا الذات واستبعدنا الوظيفة دمرنا دلالة البنية، وحولناها إلى مجرد نسق جبري مغلق»^(٣٢).

ولا يكتفي جولدمان بذلك بل يصب هجومه على «البنيوية الشكلية» أو «البنيويات اللغوية» كما يمثلها كلود ليفي شتراوس في الإثنولوجيا، ولا كان في التحليل النفسي، وألتوسير في بعض تيارات الماركسية المعاصرة، ورولان بارت في النقد الأدبي. والجذر الخلاف بين بنيوية جولدمان التوليدية وكل هذه البنيويات يتمثل في «أنها تلغي - في تقديره - فاعلية الذات فتلغي التاريخ؛ وتتجاهل الوظيفة فتدمر الدلالة ولذلك

٣٠- جابر عصفور: نظريات معاصرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨، ص ١٤١.

٣١- محمد عناني: المصطلحات الأدبية الحديثة، دراسة ومعجم إنجليزي - عربي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٩٩٦، ص

٦٩.

٣٢- جابر عصفور: عن البنيوية التوليدية، قراءة في لوسيان جولدمان، مجلة فصول، يناير ١٩٨١، مج ٢-١، العدد ٢،

القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص ٩٢.

يقول عن ليفي شتراوس - على وجه الخصوص - إن ليفي شتراوس يمثل نسقاً شكلياً يهدف إلى الاستبعاد التام لأي اهتمام بالتاريخ أو بمشكلة المعنى.^(٣٣)

فالمنهج البنائي بعد تكوينه ونضجه يختلف جوهرياً عن المنهج الشكلي، فهو - كما يقول منظره الكبير «ليفى شتراوس» - «يرفض مقابلة المحدد الواقعي بالمجرد النظري، وينكر بالتالي إضفاء طابع ممتاز على هذه المرتبة الثانية، فالشكل يتحدد بالتقابل مع المادة الغريبة عنه؛ أما البنية فلها مضمون مختلف»^(٣٤) ويؤكد «ليفى شتراوس» أن الفرق بين الشكلية والبنائية هو أن «الأولى تفصل تماماً بين هذين الجانبين (الشكل والمضمون)، لأن الشكل هو القابل للفهم بينما لا يتعدى المضمون أن يكون بقايا خالية من القيمة الدالة، أما البنائية فهي ترفض وجود مثل هذه الثنائية (ثنائية الشكل والمضمون)، وليس هناك جانب تجريدي وآخر محدد واقعي، فالشكل والمضمون لهما نفس الطبيعة ويستحقان نفس العناية في التحليل».^(٣٥) وهكذا حاولت البنوية التكوينية إذن أن تستدرك النقص الخطير الذي وقعت فيه البنوية الشكلية بعزلها الأدب عن المجتمع وعن كل شيء خارجي، فحاولت «الربط بين الداخل والخارج، لتحقيق حلّ وسط، أي تستطيع البنية اللغوية للنص أن تكون مستقلة - وهو الداخل - وأن تؤكد علاقتها بالبنى والأنظمة الأخرى، كالنظام الاقتصادي والصراع الطبقي».^(٣٦)

وإذا كانت (البنوية الشكلية) قد انتهت إلى مأزقها، فإن النقد (البنوي التكويني أو التركيبي أو التوليدي) قد أنقذها من انغلاقها، حين اخترقت الدراسة النصّية إلى ما وراءها من مؤثرات ثقافية واجتماعية وتاريخية، في محاولة لربط النتاج الأدبي بالجماعة أو الطبقة التي أنتجته وكأن مؤلفه واحداً من أفرادها.

وبما أن (البنية) في النقد البنوي الشكلي ساكنة وغير متحركة في الزمان والمكان، وكأنها معزولة عن سياقها التاريخي والاجتماعي والثقافي الذي نشأت فيه، فإن (البنية) في النقد البنوي التكويني لا تُفهم بحد ذاتها خارج حدود الزمان والمكان، وإنما تُفهم من خلال تحركها وتفاعلها وتناظرها داخل وضع محدد زمانياً ومكانياً، فدراسة (التفاحة) وحدها لا تكفي لإعطاء صورة كاملة مالم نأخذ بعين الاعتبار الشجرة التي أنتجتها والمحيط المناخي والزراعي الذي عاشت فيه، وكذلك لا يمكننا أن نعزل العمل الأدبي عن سياقه الثقافي والاجتماعي والتاريخي الذي نشأ وترعرع فيه، فكل مسألة ينبغي فهمها من خلال الإطار العام المحيط بها.

٢: البنوية الوظيفية:

أما البنوية الوظيفية، والتي طغت تنظيراتها بالأخص في الولايات المتحدة، فتتحو إلى معالجة الواقعة الأدبية في ضوء مفاهيم الدور والمكانة والرموز، انطلاقاً من أن المجتمع يتكون من أنساق فرعية متداخلة

٣٣- المرجع نفسه، ص ٩٢.

٣٤- صلاح فضل: نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، القاهرة، (ط ١)، ١٩٩٨، ص ١٣٨.

35- Levi-strauss, Claude "Laestructura La Forma" Trad. Beunos Aires 1969.p.136

٣٦- وليد قصاب: مناهج النقد الأدبي الحديث، رؤية إسلامية، ص ١٤٦.

ومتفاعلة في أدوارها وقيمها وعلاقاتها، من مثل نسق الأسرة، ونسق الاقتصاد، واستتباعا نسق الفنون، وكلها يجدر الكشف عن بناها الداخلية، وتحديد وظائفها التي تشير إلى المتطلبات أو الأعباء الملقاة على عاتقها، في سعيها لتحقيق تكامل النسق الاجتماعي الكلي واستمراره.^(٣٧)

هيمن تالكوت بارسونز واضع نظرية «البنوية الوظيفية» منذ نهاية الحرب العالمية على أواسط الستينات على الأوساط الغربية. هنا نستطيع أن نكشف الموضوعات الأساسية عند بارسونز فهو أولاً، يرى «الحياة الاجتماعية من خلال أفكار البشر، خاصة من خلال معاييرهم وقيمهم. فالمعايير هي تلك القواعد المقبولة اجتماعياً التي يستخدمها البشر في تقرير أفعالهم؛ أما القيم فأفضل وصف لها هو أنها ما يعتقد البشر عما يجب أن تكون عليه الحياة والحياة الاجتماعية تشبه الكائن الحي وهي كائن من نوع خاص.^(٣٨) والفكرة القائلة أن الحياة الاجتماعية هي نظام اجتماعي تفسر الجزء البنائي من تعبير "الوظيفي البنائي" الملصق دائماً على أعمال بارسونز. أما المماثلة مع الكائن العضوي فهو يفسر الجانب "الوظيفي" منه. ثم يقول إيان كريب مؤلف كتاب "النظرية الأدبية من بارسونز إلى هابرماس هذا السؤال هل النظرية البنائية الوظيفية قادرة على التفسير؟ وفي جوابه يشير إلى إحدى سلبات البنائية الوظيفية، إذ يقول: «ولقد أشرت إلى بعض الإشكالات المتعلقة بالتفسير الوظيفي، والآن أود أن أقترح أن البنائية الوظيفية في صميمها نظرية وصفية وليست نظرية تفسيرية وقابلة للتطبيق.»^(٣٩)

٣: البنوية التكوينية:

وتنظر البنوية التكوينية إلى النص ككل يتميز بوحدة تماسكه الداخلي، وإلى مكونات بنيته، لا على أنها منفصلة قائمة بذاتها، بل مرتبطة بمجمل البنية والدلالة والسياق العام. وهذا ما يشير إليه غولدمان في كتابه "العلوم الإنسانية والفلسفة":

«إن العلاقة لا تتم أولاً بين محتوى الأعمال الأدبية ومحتوى الحياة الواقعية، بل بين البنية الذهنية لمجموعة اجتماعية معينة والبنية الكلية الدالة للعمل الفني أو الأدبي المبدع.»^(٤٠)

إذن مع البنوية التوليدية فأضحت البنية «عنصرًا في بنية أوسع هي بنية المجتمع غير المستقلة عن التاريخ وقوانين التطور المشروطة بالزمن.»^(٤١)

والبنوية التكوينية بهذا الفحوى مفهوم دينامي وليس مجرد أنماط شكلية أو عدد من الوحدات البنوية، كالحال في إطار البنوية الشكلية أو الوظيفية، إذ هي بنية متغيرة ومتطورة، ترتبط بجماعة اجتماعية يمثلها المبدع في لحظة تاريخية محددة، ما يعني أنها قوة فعالة داخل هذه الجماعة، لما تحمله في

٣٧- يوسف الأنطاكي: سوسيولوجيا الأدب، تقديم: د. محمد حافظ دياب، مرايا الكتاب، (ط١)، القاهرة، ٢٠٠٩، ص ١٩.

٣٨- إيان كريب: النظرية الأدبية من بارسونز إلى هابرماس، ترجمة: د. محمد حسين غلوم، مراجعة: د. محمد عصفور، المجلس الأعلى للثقافة والفنون، الكويت، ١٩٩٩، ص ٦٧.

٣٩- المرجع نفسه، ص ٨٩.

٤٠- لوسيان غولدمان: العلوم الإنسانية والفلسفة، ترجمة: د. يوسف الأنطاكي، مراجعة: د. محمد برادة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٦٠، ص ١٠.

٤١- رفيف رضا صيداوي: النظرة الروائية إلى الحرب اللبنانية ١٩٧٥-١٩٩٥، دار الفارابي، بيروت، ط١، ٢٠٠٣، ص ٤٠.

طياتها من معان أو دلالات يستخلصها الباحث من خلال التماسك الداخلي، الذي يقوم بوظيفة إبراز الدلالات الموضوعية في النص.

من هنا يتضح أن فلسفة البنيوية التكوينية تكاملية دياكتيكية، مع النظر في بنية النص الأدبي، لا باعتبارها بنية مستقلة بذاتها كالحال في البنيوية الشكلانية، ولا كنسق متجاوز مع أنساق أخرى كما في البنيوية الوظيفية، ولكن على أنها بنية مركبة ومتكاملة، مرتبطة ببنية المجتمع وحركة التاريخ.

وتتصل بهذا المجال نفسه فكرة الطبقات الاجتماعية ووظيفتها التاريخية، فالذي يحدد الطبقات في الدرجة الأولى إنما هو وضعها في عملية الإنتاج والعلاقات التي تترتب عليها والتي لا تلبث أن تقوم بنفسها فيما بعد، وهي أساس رؤية العالم و«رؤية العالم هي صلب فكرة البنية التي تقاس بها الأعمال الأدبية عند "غولدمان" وإذا كان الضمير الواقعي للجماعة إنما هو جملة الضمائر الفردية واتجاهاتها فإنه يشمل أيضاً إمكانات الفكر والعمل في تشكيل البنية الاجتماعية والتأثر المتبادل فيما بينها»^(٤٢)

وفي الأخير يبدو لنا أن الحديث عن التناظر بين بنيتي الرواية والمجتمع ذي العلاقات الاقتصادية مهما جداً، لأنه يقرن نشأة الرواية بنهوض الاقتصاد الحربي أوروبا. وبذلك «فإن غولدمان ولوكاتش ومن ورائهما هيجل يفسرون نشأة الرواية بناء على التجربة التاريخية للغرب، فتفاعلات العصر الحديث، وظهور الرأسمالية، واقتصاد السوق، أثرت في نشأة الرواية»^(٤٣)

فيتوصل «غولدمان» إلى كشف «مظاهر التوازي بين كل من بنية الرواية وبنية المجتمع البرجوازي، منطلقاً من فرضية تقول بأنهما متجانسان، و أن تطوّرها سيظلّ متوازيًا»^(٤٤)

ثانياً: خلفية البنيوية التكوينية في العالم العربي:

ولدينا في العالم العربي، يمكن القول أن إرهاصات بدأت منذ نهاية الحرب العالمية الثانية في الشام ومصر، وروادها في الأساس كانوا يهتمون بالأدب، وهو ما يتضح في كتابات طه حسين، ودعوة سلامة موسى «الأدب للشعب»، والنقد الإيديولوجي عند محمد مندور، ودعوة لويس عوض «الأدب في سبيل الحياة»، وأعمال اسماعيل أدهم، وأصحاب التيار الماركسي مثل رفيف خوري، وعمر فاخوري، وحسين مروة، ومحمود أمين العالم، وعبدالعظيم أنيس، تلتها كتابات عبدالمحسن طه بدر، السيد ياسين، وصبري حافظ، وسيد البحراوي، حيث كابد الأوائل منهم بالخروج عن النقد الأدبي، وهو ما عبر عنه رشاد رشدي بقوله: «إنّ الناقد الذي يمارس هذا النوع من النقد الاجتماعي، قد ضلّ طريقه إلى النقد الفني، وكان الأجدر به أن يشتغل بعلم الاجتماع»^(٤٥).

وفي مسعى الدرس النقدي العربي المعاصر إلى ملاحقة الاتجاهات النقدية في الغرب، والتعامل مع مستجداتها، تواترت، ومنذ أوائل سبعينات القرن الماضي، الاستعانة بالبنيوية التكوينية، وبخاصة في المغرب

42- Goldman, Lucien, Sciences humaines ET philosophie, Paris, 1963, trad Buenos Aires, 1969
٤٣- عبدالله إبراهيم: السردية العربية الحديثة، تفكيك الخطاب الاستعماري وإعادة تفسير النشأة، المركز الثقافي العربي، ط ١، بيروت، ٢٠٠٣، ص ٦٥.

٤٤- لوسيان غولدمان: مقدمات في سوسيولوجية الرواية، ترجمة بدر الدين عروكي، اللاذقية، دار الحوار، ١٩٩٣، ص ١٤.

٤٥- رشاد رشدي: نظرية الأدب، القاهرة، دار فكر للدراسات والنشر، ١٩٧٥، ص ١٧.

والشام ومصر، وشاعت «شعبيا» فيها بتأثير النفوذ الماركسي في وعي أغلب نخبتها، وهو ما يتضح في أطروحتين جامعتين مبكرتين، تقدم بهما محمد رشيد ثابت للجامعة التونسية،^(٤٦) والطاهر لبيب لجامعة السوربون.^(٤٧)

ورويدا، تنامت، وبأقدار متفاوتة، مقارنة هذا المنهج لدى باحثين آخرين (جمال شحيد، محمد برادة، أحمد أبو الحسن، بدر الدين عروذكي، إدريس بلمليح، عمار بلحسن، جابر عصفور، محمد بنيس، نجيب العوي، حميد لحمداني، سمير حجازي، حكمت صباغ الخطيب، وشهرتها بمنى العيد، سعيد علوش...) بل والاحتفاء المبالغ به من قبل الأوساط النقدية، لدرجة تبني اتحاد كتاب المغرب له مطلع الثمانينات، كبديل مقترح قادر على تمثل العمل الأدبي.

ونجم عن هذا الاستهواء، التباسات وقعت فيها البحوث العربية التي تعاملت معه، سواء في نقل وتوظيف منظومته الاصطلاحية، أو الإفادة من تقنياته المنهجية.

ويلوح هذه الالتباسات، بالأوضح، في تشطّي ترجمة العبارة الفرنسية الدالة على البنيوية التكوينية (Genetique Structuralisme) بسبب من عدم التوقف على دقائق الآليات اللغوية والصيغ التعبيرية والمسالك النوعية الواجب اتباعها في صوغ هذه العبارة، لحظة نقلها إلى العربية: فجمال شحيد يترجمها إلى «البنيوية التركيبية»^(٤٨) ورشيد ثابت إلى «الهيكليّة الحركية»^(٤٩) ومحمد سبيلا إلى «البنيوية التكوينية»^(٥٠) وجابر عصفور إلى «البنائية التوليدية»^(٥١) وسمير حجازي «البنائية الدينامية»^(٥٢) ونبيل راغب «البنيوية التكوينية (الجينية)»^(٥٣) وعمار بلحسن «البنيوية الجينية»^(٥٤) ويوسف جباعي «البنيوية التاريخية»^(٥٥).

وفي المجمل، توزّع مسماها بين البنائية التوليدية "ليست لها دلالة أو معنى واضحاً في ميدان النقد الأدبي أو العلوم الإنسانية، رغم دقتها اللغوية، لأنها توقفت عند الترجمة المباشرة والمعنى القاموسي، ولم تتعدّاهما إلى معناها الأعمق المستوحى من نظرية جولدمان. ذلك أن: «مفهوم العمل الأدبي عند

٤٦- محمد رشيد ثابت: البنية القصصية ومدلولها الاجتماعي في حديث عيسى بن هشام، ليبيا - تونس، الدار العربية للكتاب، ١٩٧٦.

٤٧- الطاهر لبيب: سوسيولوجيا الغزل العربي، ترجمة محمد حافظ دياب، القاهرة، دار سينما للنشر، ١٩٩٣.

٤٨- جمال شحيد: في البنيوية التركيبية - دراسة في منهج لوسيان جولدمان، بيروت، دار ابن رشد للطباعة والنشر، ١٩٨٢، ص ١٥.

٤٩- محمد رشيد ثابت: مرجع سابق.

٥٠- محمد سبيلا (مراجعة ترجمة): البنيوية التكوينية والنقد الأدبي، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٤، ص ٢٣.

٥١- جابر عصفور: «عن البنيوية التوليدية، قراءة في لوسيان غولدمان»، مجلة فصول، يناير ١٩٨١، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، صص ٥٣-٥٠.

٥٢- سمير حجازي: مشكلات الحداثة في النقد العربي، القاهرة، الدار الثقافية للنشر، ٢٠٠٠، ص ٧٦.

٥٣- نبيل راغب: موسوعة النظريات الأدبية، لبنان، مكتبة لبنان ناشرون، ٢٠٠٣، ص ٢٣٥.

٥٤- عمار بلحسن: «ما قبل بعد الكتابة - حول الايديولوجيا والأدب والرواية»، مجلة فصول، يوليو - أغسطس - سبتمبر ١٩٨٥، القاهرة ص ١٧٤.

٥٥- جاك دوبوا: «من أجل نقد أدبي سوسيولوجي»، تر: يوسف جباعي، مجلة الفكر العربي، العدد ٢٥، يناير - فبراير ١٩٨٢، بيروت، معهد الإنماء العربي، ص ٢٦١.

جولدمان يستند إلى فكرة أساسية، مؤداها أن الأبنية المتناسكة في الأعمال الأدبية الهامة تعد تعبيراً عن رؤية معينة للعالم تظهر في عصر معين، لتعبر عن موقف معين لبعض الجماعات البشرية إزاء حركة التاريخ، وهو ما يعني أنه لا يعتبر بنية العمل حقيقة جامدة، بل تبدو كقوة دينامية مضمرة في داخل الجماعات البشرية، وهذا يعني أن الأبنية الفنية عند جولدمان تبدو أبنية في صيرورة بعيدة عن المعطيات الجامدة. ولهذا نرى أن المعنى الدال لهذا المصطلح هو: البنائية الدينامية.^(٥٦)

ولم تقتصر التباس التعامل مع البنوية التكوينية على منظومتها الاصطلاحية، بل تعداه إلى تفاوت العديد من الدراسات العربية، على اجتهداتها، في مدى تبنيها لمقولاتها ومسالكها المنهجية، حين راوحت بين الاستنساخ، والحصص العقيم، واللجوء إلى الإبهام، وهجنة نقل الإطار وغياب المنهج، وهو ما يتضح في مراوحة هذه الدراسات في استخدام هذا المنهج من مناهج أخرى. مثال ذلك، دراسة محمد بنيس حول الشعر المعاصر بالمغرب، التي راوحت بين استخدام البنوية الشكلانية في التحليل اللغوي لنصوصه الشعرية، وإن بدا فيها إلغائها الخصوصيات اللغوية والبلاغية التي يتميز بها كل شاعر على حدة، مع البنوية التكوينية.^(٥٧)

ويتبدى هذا الموقف الانتقائي في استخدام المناهج كذلك، مع دراسة محمد براءة لتجربة محمد مندور النقدية، وتناولت استكشاف البنية التي أفرزت رؤية العالم في أعمال هذا الناقد، وتمثلها لدى الفئة الاجتماعية ينتهي إليها.

ويتضح هذا الموقف الانتقائي، حين ذكر أنه: «يلزم القول بأن منهجنا في هذا البحث، لم يكن مكتملاً منذ البداية، بل أن أهم عناصره قد تجمعت وتبلورت أثناء البحث».^(٥٨)

ويمكن القول أن تضاف هنا دراسة كمال أبوديب للشعر الجاهلي، التي رغم شهرتها وتميزها، خلطت بين البنوية الشكلانية الجامعة لشكلانية الفولكلوري الروسي فلاديمير بروب (V. propp) وبنوية الاثنولوجي الفرنسي ليفي ستروس، جنباً مع البنوية التكوينية في وعده مطلع بحثه بإجراء تحليل، علمي يكشف العلاقة بين البنى الشعرية البنى الاجتماعية،^(٥٩) مضافاً إليهما التفكيرية.

إذ قام أبوديب بتحليل العلاقات المميزة لوحداث القصيدة الجاهلية، ممثلة في معلقتي امرئ القيس وعنترة، عبر إضاءة مكوناتهما اللغوية، من حيث المفردات والأفعال والصيغ النحوية والصوتية والإيقاعية. ولم يكتف بذلك، بل تصدى لوصف بعض من مظاهر الحساسية الإنسانية في فكر الشعاعين ورؤيتهما للعالم، بما يتفق مع البنوية التكوينية، مذكراً، برغم غموض مقصده، أنه: «في البنوية التوليدية الأساسية للنص الجاهلي من نمط البنية متعددة الشرائح، تتشكل حركة الاندثار ونضوب الحيوية في إطار

٥٦- سمير حجازي: مشكلات الحداثة في النقد العربي، صص ١٠٦-١٠٥.

٥٧- محمد بنيس: ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب- مقارنة بنوية تكوينية، بيروت، دار العودة، ١٩٧٩.

٥٨- محمد براءة: محمد مندور وتنظير النقد العربي، القاهرة، دار فكر للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٦، صص ٤٠-٣٩.

٥٩- كمال أبوديب: نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر الجاهلي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦، ص ١٢٤.

الأطلال أو التوتر القائم بين الشاعر والمرأة، أو التفتت في الوجود الجماعي، أو التغير المؤدي إلى نضوب الحيوية وتشكل الحركة المضادة في أطر متعددة».^(٦٠)

على أن هذه المروحة تبدو أكثر جلاءً، في أعمال الناقد المغربي حميد حمداني، التي قامت على الملاءمة بين البنيوية الشكلانية والبنيوية التكوينية وسوسولوجيا النص، بهدف الكشف عن الميكانيزمات الداخلية للنص الروائي كما توضحه البنيوية الشكلانية، واستخلاص فكرته المركزية، أو بنيته الدالة، بمثل ما توصي به البنيوية التكوينية، ومقاربة تعددية أصواته اللغوية وزوايا نظرها لشتى تصورات شخصياته المتصارعة، اتساقاً مع مفهوم «الحوارية» (Dialogisme) لدى ميخائيل باختين.

ويبرز حمداني في ذلك، أن الناقد العربي: «لا يستطيع أن يؤكد ذاته إلا من خلال منظور تركيبي جديد، يراه ضرورياً لتطويع النقد الغربي من أجل دراسة الأعمال الإبداعية العربية. ذلك أن التمثيل والتركيب هما قدر هذا الناقد، على الأقل في الوقت الراهن وعليه أن يظهر من خلالهما إسهامه العبقريّة العربية في مسيرة النقد المعاصر العالمي».^(٦١)

وعلى ذكر التباسات الدرس النقدي العربي حول البنيوية التكوينية، ينوّه هنا بالتفتت خفي نحو هذا المنهج، تراوى منذ مطلع تسعينات القرن الماضي تحت مسمى «النقد الثقافي» الذي تبلور في الغرب منذ منتصف الستينيات، مع انتقاله من دائرة البحث الفكري إلى النقد الأدبي.

ففي التقدير، أن من أسهموا من النقاد العرب، وعلى رأسهم الناقد السعودي عبدالله الغدامي، في صوغ أفق للنقد الثقافي، قدموا هذا الإسهام، بوعي منهم أو بدونه، كخطاب نقدي يحل محل البنيوية التكوينية، التي تعين العلاقة بين الظواهر في تجاذلها، وليس باعتبارها كيانات مستقلة، وتنظر إلى العمل الأدبي كموقف من الحياة والواقع، فكان لجوئهم إلى الأنثربولوجيا بدل السوسولوجيا التي اتخذتها البنيوية التكوينية كحاضنة معرفية. والنص في إطار هذا النقد الثقافي لا يعامل إلا: «يوصفه حامل نسق، ولا يقرأ النص لذاته ولا لجمالياته، وإنما نتوسل بالنص لنكشف عبره حيل الثقافة في تقرير أنساقها».^(٦٢)

وفي المجمل، يمكن القول أن الالتباسات التي وقع فيها الباحثون والنقاد العرب بإزاء البنيوية التكوينية، أفسحت المجال لصعوبات متعددة طبعت التعامل معها، ما بين محطة الإرسال التي تولت إنتاجها ومحطة الاستقبال التي قامت باستثمارها، دونما قدرة على تمثيلها النقدي، والوعي بحيثية تصوراتها النظرية واسناداتها المعرفية، ما يجوز معه القول أن الاستيعاب العربي لها لم يستطع غالباً أن يفرض ذاته داخلها، وأن تكون له مساهمة مقدرة في إغنائها، رغم تواتر التأليف العربي عنها، وترجمة أعمال متعلقة بها، وهو ما

٦٠- المرجع نفسه، ص ٣٧٨.

٦١- حميد حمداني: النقد الروائي والإيديولوجيا، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩١، ص ٤٧.

٦٢- عبدالله الغدامي: النقد الثقافي - قراءة في الأنساق الثقافية العربية، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، لبنان، ٢٠٠٠، ص

تحدث عنه سعد البازغي، مذكراً: «أن النقد الموجه إلى منهج البنوية التكوينية، يظل بعيداً عن طرح أسئلة أساسية».^(٦٣)

وإن جاز الوضع في الاعتبار صعوبة نقل هذا المنهج كما هو إلى فضاءات ثقافية مغايرة، وما آل إليه من استجابات في محطته العربية، كما تعلمنا مقولة كارل ماركس عن هجرة الأفكار، ومنهجية سوسيولوجيا المعرفة، واشكالية انتقال النظرية لدى إدوارد سعيد.^(٦٤)

وفي الأخير يمكن القول بأن البنوية التكوينية أكثر المذاهب النقدية الغربية انتشاراً في العالم العربي، وعلى نحوها للفرع الآخر من البنوية وهو البنوية الشكلانية. ويمكن القول أيضاً أن سرّ هذا الانتشار يعود إلى هيمنة الاتجاهات الماركسية تحديداً، في أكثر البيئات النقدية العربية، فحين تأزمت تلك الاتجاهات وجد بعض النقاد العرب مخرجاً مؤتياً في شكل نقدي يجمع بين تطورات النقد الغربي الحديث، لاسيما ما نزع منه نحو العلمية، وبين الأسس الماركسية التي قامت عليها البنوية التكوينية في الغرب وقد انتسب الدكتور جابر عصفور زمن انتقال أفكار البنوية التكوينية إلى النقد العربي إلى السبعينات إذ يقول:

«أتصور أن الأفكار البنوية التوليدية أخذت تنتقل إلى النقد العربي في الستينات، في موازاة شيوعها على المستوى العالمي، ولكن كان ذلك بعد إرهابات أولية في النصف الثاني من الستينات لم يتأثر بها المشهد الثقافي تأثراً فعالاً يؤدي إلى تغيير في الاتجاه. ولعلّ لأبالغ لو قلت إن ما انتقل من أفكار البنوية في هذه الفترة كان يؤدي دوراً مزدوجاً، يفتح أفقاً جديداً لتطوير المعرفة النقدية والوصول بها إلى مدى أعمق من الانضباط العلمي من جانب، ويواجه المزالق التي ينطوي عليها التسليم بالبنوية الشكلية في تجاهلها للتاريخ في جانب ثانٍ».^(٦٥) والجذر الخلافي كما ندري بين بنوية جولدمان التكوينية والبنويات الشكلية والتحليل النفسي يتمثل في أنّها تلغي فاعلية الذات فتلغي التاريخ، وتتجاهل الوظيفية فتدثر الدلالة.

ويبدو الناقد كمال أبوديب أيضاً من خلال دراساته أنه من أبرز النقاد العرب الذين يسعون لتأسيس منهج بنيوي متكامل، يتم من خلال دراسة الشعر العربي بما يطور النظرة إلى هذا الشعر. أشار د. كمال أبوديب في أكثر من موضع في دراساته إلى أن «تحليله للنصوص الأدبية لا يقتصر على اللسانيات البنوية، وإنما يقوم على اكتناه العلاقة بين بنية العمل الأدبي والبنى الاجتماعية: الاقتصادية والسياسية والفكرية وهذا يدخل دراساته في إطار البنوية التكوينية».^(٦٦)

٦٣- سعد البازغي: الاختلاف الثقافي وثقافة الاختلاف، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٨، ص ٣١٦.

٦٤- إدوارد سعيد: «انتقال النظرية» مجلة الكرمل، العدد التاسع، نيقوسيا، ١٩٨٣، صص ٣٤-١٢.

٦٥- جابر عصفور: نظريات معاصرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨، ص ١٠٣.

٦٦- يوسف حامد جابر: بنوية كمال أبوديب، عرض ومناقشة لدراسات الناقد البنوية، مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد الخامس والعشرون، العدد الرابع، أبريل/ يونيو ١٩٩٧، ص ٢٧٠.

الخاتمة:

من النتائج التي توصل اليها البحث كانت على وفق الآتي:

اولاً: البنيوية التكوينية أكثر المذاهب النقدية الغربية انتشاراً في العالم العربي، وعلى نحوها للفرع الآخر من البنيوية وهو البنيوية الشكلانية. ويمكن القول أيضاً أن سرّ هذا الانتشار يعود إلى هيمنة الاتجاهات الماركسية تحديداً، في أكثر البيئات النقدية العربية، فحين تأزمت تلك الاتجاهات وجد بعض النقاد العرب مخرجاً مؤاتياً في شكل نقدي يجمع بين تطورات النقد الغربي الحديث، لاسيما ما نزع منه نحو العلمية، وبين الأسس الماركسية التي قامت عليها البنيوية التكوينية في الغرب وقد انتسب الدكتور جابر عصفور زمن انتقال أفكار البنيوية التكوينية إلى النقد العربي إلى السبعينات.

ثانياً: ترى البنيوية التكوينية أن المؤلف لا يموت أبداً، والنص هو أصل العملية النقدية وهو مصدرها، ولكنه لا بدّ أن يُعتمد أحياناً قليلة أو كثيرة، على معرفة بالمؤلف، وظروفه، أو ظروف إنشاء النص وملايساته، وقد يعين ذلك على تفسير النص وإن لم يعن على تقويمه. غولدمان يتفق مع رولان بارت في دراسة البنية الداخلية للنصّ أولاً و يتفق مع مورون بضرورة دراسة الحياة الانفعالية للمؤلف. إذن لا يعتقد بموت المؤلف ولكنه لا يجعله في الرتبة الأولى من الأهمية في النقد البنيوي التكويني.

ثالثاً: لقد تميّزت البنيوية التكوينية عن البنيوية الشكلانية واللغوية و الوظيفية بانعكاس ردود فعل الناس للمشكلات المختلفة التي تثيرها العلاقة بينهم وبين محيطهم الاجتماعي والطبيعي، فإن هذه البنيوية تقوم، وبشكل دائم، بدور ضمن بنية اجتماعية أكبر. ولكن من سلبياتها أن هذا المنهج لا يمكن استخدامها لنقد المخطوطات والمنقوشات على حسب وظيفتها الأولية و هي نقد صحة الوثائق و المستندات في الأدب العربي بسبب أننا لانعرف في العالم العربي فضيلة التوثيق العلمي للمخطوطات والوثائق والمستندات، ومن الصعب العثور على آثار شخصية لأدباء وكتب عربية، بل إن المأساة تبلغ قمتهما عندما نعلم أن الأحياء منهم لا يهتمون هم أنفسهم بالاحتفاظ بمسودات أو مخطوطات أعمالهم.

رابعاً: لم ينتبه غولدمان إلّا نادراً ونادراً جداً لخصوصيات الشكل الفني (اللغة، التركيب السردي، جمالية الحوار، تقنيات الصورة، مميزات اللون و...) على خلاف بعض المناهج النقدية الجديدة (مثل الشكلانية) وظل المهم بالنسبة له هو المحتوى والمضمون أو البنية التحتية في نقد النص الأدبي.

خامساً: إننا نلاحظ أنّ النقد التكويني يتناول التكون الخارجي للنص والتكون الداخلي له، وإننا لنجد هذا التقابل بين «التكون الخارجي (انتقاء وتملك المصادر) والتكون الداخلي (انتاج وتحول حالات الكتابة) لذلك اخترنا كلمة البنيوية التكوينية في عنوان المقالة هذه، على الرغم أن هذه البنيوية قد ترجمت بالبنائية والهيكلية والماركسية والتوليدية والتأصيلية والحينية والدينامية والتاريخية و التركيبية وغيرها...

سادساً: وتتلخص ملامح هذه البنيوية في أنها تسمح بنوع من العلاقة بين البنية الفوقية - الثقافة و الأدب و الشكل والفنون و.. - و البنية التحتية (أو سفلية) كالاقتصاد و المجتمع، وما شاكل ذلك. ويرى البنيويون التكوينيون أن «البنية هي البنية العميقة وهذه البنية العميقة أو هذه الشبكة من العلاقات

المعقدة هي التي تجعل من العمل الأدبي عملاً أدبياً، أي هنا تكمن أدبية الأدب.. إنّ هدف التحليل البنيوي هو التعرف عليها لأنّ ذلك يعني التعرف على قوانين التعبير الأدبي. وهذا ما يجعل التحليل البنيوي متميّزاً عن سائر المناهج لأنّه الوحيد القادر على البحث عن أدبية الأدب أي عن خصائص الأثر الأدبي.

المصادر و المراجع:

أ. الكتب والمقالات العربية:

- ١- إبراهيم، زكريا، مشكلة البنية أو أضواء على البنيوية، دار مصر للطباعة، القاهرة، ١٩٩٠م.
- ٢- _____: مشكلة البنية، مكتبة مصر، القاهرة، ب.ت.
- ٣- إبراهيم، عبدالله، السردية العربية الحديثة، تفكيك الخطاب الاستعماري وإعادة تفسير النشأة، المركز الثقافي العربي، ط١، بيروت، ٢٠٠٣.
- ٤- أبوديب، كمال، نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر الجاهلي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦.
- ٥- الانطاكي، يوسف، سوسولوجيا الأدب الآليات و الخلفية الإيستمولوجية، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٩.
- ٦- البازعي، سعد، الاختلاف الثقافي وثقافة الاختلاف، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٨.
- ٧- بلحسن، عمار، «ما قبل بعد الكتابة-حول الايديولوجيا والأدب والرواية»، مجلة فصول، يوليو-أغسطس- سبتمبر ١٩٨٥، القاهرة.
- ٨- برادة، محمد، محمد مندور وتنظير النقد العربي، القاهرة، دار فكر للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٦.
- ٩- بنيس، محمد، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب- مقارنة بنيوية تكوينية، بيروت، دار العودة، ١٩٧٩.
- ١٠- بياجيه، جان، البنيوية، ترجمة: عارف منيمنة وبشير أوبري، منشورات عويدات، بيروت - باريس، ط٤، ١٩٨٥.
- ١١- جابر، يوسف حامد: بنيوية كمال أبوديب، عرض ومناقشة لدراسات الناقد البنيوية، مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد الخامس والعشرون، العدد الرابع، أبريل/ يونيو ١٩٩٧.
- ١٢- حجازي، سمير، مشكلات الحداثة في النقد العربي، القاهرة، الدار الثقافة للنشر، ٢٠٠٠.
- ١٣- خشفة، محمد نديم، تاصيل النص المنهج البنيوي لدى لوسيان غولدمان، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ١٩٩٧.
- ١٤- دوبا، جاك، «من أجل نقد أدبي سوسولوجي»، تر: يوسف جباعي، مجلة الفكر العربي، العدد ٢٥، يناير- فبراير ١٩٨٢، بيروت، معهد الإنماء العربي، ص ٢٦١.

- ١٥- ر. بوردون وف. بوريكو: المعجم النقدي لعلم الاجتماع، تر: الدكتور سليم حداد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٦.
- ١٦- راغب، نبيل، موسوعة النظريات الأدبية، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط ١، ٢٠٠٣.
- ١٧- رشدي، رشاد، نظرية الأدب، القاهرة، دار فكر للدراسات والنشر، ١٩٧٥.
- ١٨- رشيد ثابت، محمد، البنية القصصية ومدلولها الاجتماعي في حديث عيسى بن هشام، ليبيا - تونس، الدار العربية للكتاب، ١٩٧٦.
- ١٩- سبيلا، محمد، (مراجعة ترجمة): البنيوية التكوينية والنقد الأدبي، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٤.
- ٢٠- سعيد، إدوارد، «انتقال النظرية» مجلة الكرمل، العدد التاسع، نيقوسيا، ١٩٨٣، صص ٣٤-١٢.
- ٢١- شبيل، الحبيب، من البنية إلى المعنى (المقامة المضيرية)، دار الآداب، بيروت، ع ١، العدد ٣٨، ١٩٩٠.
- ٢٢- شحيد، جمال، في البنيوية التركيبية - دراسة في منهج لوسيان جولدلمان، بيروت، دار ابن رشد للطباعة والنشر، ١٩٨٢.
- ٢٣- صدقي، حامد، وحسيني، عبدالله، وسليمي نژاد، انصار، رواية الحي اللاتيني على ضوء النظرية البنيوية الغولدمانية، مجلة دراسات الأدب المعاصر، جامعة حرة إسلامية بجيرفت، ايران، السنة الرابعة، خريف ١٣٩١، العدد الخامس عشر، صص: ٦٥-٩٥.
- ٢٤- صيداوي، رفيف رضا، النظرة الروائية إلى الحرب اللبنانية ١٩٧٥-١٩٩٥، دار الفارابي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٣.
- ٢٥- فؤاد عبد الباقي، محمد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، القاهرة، ١٣٧٨ هـ.ش.
- ٢٦- فضل، صلاح، نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، القاهرة، ب.ت.
- ٢٧- قصاب، وليد، مناهج النقد الأدبي الحديث، رؤية إسلامية، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٧.
- ٢٨- عزام، محمد، تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحديثة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٣.
- ٢٩- _____، فضاء النص الروائي، مقارنة بنيوية تكوينية في أدب نبيل سليمان، دار الحوار للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، ١٩٩٦.
- ٣٠- عزيز ماضي، شكري، في نظرية الأدب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ١، ٢٠٠٥.
- ٣١- عصفور، جابر، عن البنيوية التوليدية، قراءة في لوسيان غولدلمان، مجلة فصول، يناير ١٩٨١، مج ١-٢، العدد ٢، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- ٣٢- _____، نظريات معاصرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨.

- ٣٣- عناني، محمد، المصطلحات الأدبية الحديثة، دراسة ومعجم إنجليزي -عربي، الشركة المصرية العالمية للنشر، ١٩٩٦.
- ٣٤- الغدامي، عبدالله، النقد الثقافي - قراءة في الأنساق الثقافية العربية، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، لبنان، ٢٠٠٠.
- ٣٥- غولدمان، لوسيان وآخرون، البنيوية تكوينية والنقد العربي، ترجمة: محمد سيبل، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ١٩٨٦.
- ٣٦- غولدمان، لوسيان، العلوم الإنسانية والفلسفة، ترجمة: د. يوسف الإنطاكي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٦.
- ٣٧- _____، مقدمات في سوسيولوجية الرواية، ترجمة بدر الدين عروذكي، اللاذقية، دار الحوار، ١٩٩٣.
- ٣٨- لبيب، الطاهر، سوسيولوجيا الغزل العربي، ترجمة محمد حافظ دياب، القاهرة، دار سينا للنشر، ١٩٩٣.
- ٣٩- حمداني، حميد، النقد الروائي والإيديولوجيا، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩١.
- ٤٠- كريب، إيان، النظرية الأدبية من بارسونز إلى هابرماس، ترجمة: د. محمد حسين غلوم، مراجعة: د. محمد عصفور، المجلس الأعلى للثقافة والفنون، الكويت، ١٩٩٩.
- ٤١- لطيف زيتوني: معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة لبنان ناشرون، دار النهار للنشر، د.ت.

ب. الكتب اللاتينية

- 1- Goldman, Lucien, Sciences humaines ET philosophie, Paris, 1963, trad Buenos Aires, 1969.
- 2- Levi-strauss, Claude "Laestructura La Forma "Trad. Beunos Aires 1969.
- 3- Goldman, loceen Recherché dialectiques, paris1959, Trad.caracas, 1962, p.105.
- 4- parin - vial, Jeanne, analyses structura les et ideologues structuralistes, Toulouse1969, Trad.B.A.1973